جامعة عبد الرّحمن ميرة بجاية
كلّية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والادب العربيّ

دروس في وحدة فقه اللّغة

السّنة الأولى

المجموعة الثّالثة

الأستاذ: بوخليفة بوسعد

الموسم الدّراسيّ: 2022/2021

المحاضرة الأولى: مدخل: فقه اللّغة(نشأة المصطلح- مفهومه- الفرق بين فقه اللّغة وعلم اللّغة والفيلولوجيا

توطئة:

غنيّ عن البيان أنّ اللّغةَ ظاهرة اجتماعيّة وإنسانيّة بامتياز، ذلك أنّها وسيلة للتّواصل والتّعبير . ولعلّ هذا ما جعل الإنسان يولي لها أهمّية قُصوى منذ فجر التّاريخ، فأخذ يسأل أو بالأحرى يبحث عن أصل ظهور اللّغة وما يحكم أصواتها، نحوها وصرفها وتراكيبها ودلالاتها.

لقد حظيت اللّغة كأداء بشريّ بتعاريفَ عديدة من لدن اللّغويّين والعلماء العرب. فقد عرّفها "ابن جنّي" في مؤلَّفه "الخصائص" بأنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم"

1- تعريف اللّغة: لغة: جاء في" لسان العرب" ل"ابن منظور" تعريف اللّغة على النّحو التّالي: من لَغَا يلغُو إذا تكلّم.

ومهما اختلفت التّعاريف الّتي حظيت بها اللّغة، غير أنّها لا تختلف في زاوية كونها أصوات منطوقة

2**- تعريف الفقه**: هو العلم بالشّيء والدّراية الواسعة والمعمّقة والفهم العميق له. نحو قولك: أُوتيَ علما في الدّين أي عرف تفاصيله ودقائقه.

قال عزّ وجلّ: " ليتفقّهوا في الدّين" أي ليكونوا عُلماء به. وفقه فِقها أي علم علما.

لا يخرج معنى الفقه في عمومه إذن عن معنى عمق الفهم والدّراية الواسعة والشّاملة للشّيء.

أمّ معجو "الوسيط" فقد جاء مصطلح الفقه بمعنى الفهم والفطنة. وغلب في ميدان الشّريعة. بمعنى أنّ فقه اللّغة مصطلحٌ دينيّ أساسا. لغلبة استعماله في الدّين.

فقه اللّغة: هو فهم لغةٍ والإلمام بها وإدراك معارفها.

فقه اللّغة اصطلاحا: هو علم خصّصه العرب لدراسة لغتهم من حيثُ أصواتها ومفرداتها وتراكيبها وخصائصها النّحويّة والتّركيبيّة والدّلاليّة، وتعقّب ما يطرأ عليها من تغيّرات على مرّ الزّمن. بمعنى أنّ اللّغة كائن حيّ يتأثّر بعدّة عواملَ كظهور ألفاظ واختفاء ألفاظ أخرى.

يُعنى فقه اللّغة إذن بدراسة اللّغة العربيّة دون سواها من لغات العالم الأخرى. حيث سبق للباحث "رمضان عبد التّوّاب أن صرّح قائلا: " يطلق مصطلح فقه اللّغة عندنا الآن على العلم الّذي حاول الكشف على أسرار اللّغة والوقوف على القوانين الّتي تسير عليها في حيلتها، ومعرفة سرّ تطوّرها، ودراسة ظواهرها دراسة تاريخيّة ووصفيّة

المفهوم المعاصر لفقه اللّغة: هو العلم الّذي يحمل على عاتقه مهمّة الكشف عن أسرار اللّغة العربيّة وقواعدها وبلاغتها.... وسرّ تطوّرها.

3- مصطلح علم اللّغة:

_ العلم: نقيض الجهل أي علم بمعنى عرف الشّيءَ وفَقِهَهُ.

اصطلاحا: هو مجموعة من المعارف والأصول والقضايا المضبوطة وفق نمط معيّن، ويُشترط في حقل معرفيّ معيّن أن تكون له مصطلحاته الخاصّة به وقوانينه الّتي تحكمه.

علم اللّغة: هو الدّراسة العلميّة للّغة، وتدرس لحدّ ذاتها من حيث الاصوات(مخارج الحروف المفردات الصّرف الدّلالات)

4- الفرق بين علم اللّغة وفقه اللّغة:

هناك اختلافات بين الدّارسين حول هذين المفهومين. فهناك من جعل المفهومين مترادفين، في حين هناك من أقرّ فروقا بين المصطلحين.

والأرجح أنّ هنالك فروقا بين المصطلحين. فعلم اللّغة أوسع كونه يُعنى بدراسة أنظمة كلّ اللّغات البشريّة، أمّ فقه اللّغة فعلم خاصّ باللّغة العربيّة فحسب، فقد وضعه العرب من أجل لغتهم لا غير. لهذا فعلم اللّغة أشمل من فقه اللّغة.

فقه اللّغة أسبق زمنيّا لعلم اللّغة

5 **في مفهوم الفيلولوجيا:** مصطلح اغريقيّ نعني به "صديق الكلام3 أو "صديق الحكمة"

_ الفيلولوجيا اصطلاحا: هي علم غابر وقديم، مهمّته دراسة تاريخ اللّغات من خلال الوثائق والمخطوطات الّتي تركها الأوّلون، وتسمح الفيلولوجيا بفهم المصطلحات القديمة، فهي بهذا علم مُساعد للتّاريخ. وتجدر الإشارة في هذا السّياق إلى أنّ الفيلولوجيا تهتمّ باللّغة اللاّتينيّة.

6 **نشأة فقه اللّغة**: إنّ أوّل مَن استخدم مصطلح "فقه اللّغة" هو "ابن فارس" في كتابه "الصّاحبيّ" ويُعنى به سنن العرب في كلامها. ثمّ استعمله الثّعالبي بعده في كتابه " فقه اللّغة وسرّ العربيّة". وإنّه لجدير بالذّكر أنّ فقه اللّغة ارتبط في أوّل أمره بالشّعر، ويهدف فقه اللّغة تعويد الباحث على الاطّلاع بُغيةَ إثراء رصيده اللّغويّ والمعرفيّ.

ومهما يكن من أمر فإنّ مصطلح فقه اللّغة لا يخرج في عموم معانيه عن كونه ذلك العلم الّذي يُعنى بالفهم الصّحيح والدّقيق للّغة العربيّة، مع دراسة مستوياتها الصّوتيّة والنّحويّة والتّركيبيّة والدّلاليّة، ومتابعة تطوّراتها، والبحث في المعاجم عن معاني مفرداتها واشتقاقاتها وعلوم بلاغتها.

المحاضرة الثّانية: نظريّات نشأة اللّغة الإنسانيّة: المحاكاة_ التّواضع والاصطلاح_ الإلهام والوحي

توطئة:

إنّ الحديثَ عن أصل ظهور اللّغة كان محلّ سجالٍ وجدال بين العلماء والمفكّرين ولا سيّما اللّغويين، حيث تضاربت الآراءُ وتباينت حول كيفيّة نشوئها، ممّا أسفر على ظهور مجموعة من النّظريّات، ولعلّ أبرزها ثلاثُ نظريّات سيتمّ التّفصيل فيها من خلال نصّ هذه المحاضرة.

1_ نظريّات نشوء اللّغة:

غنيّ عن البيان أنّ اللّغةَ مُمارسة إنسانيّة بامتياز، وهي الوسيلة الرّئيسيّة الّتي يستعين بها الفرد من أجل تبليغ أفكاره وقضاء حاجاته، وتلبية أغراضه ومتطلّباته. غير أنّ النّبشَ في جذور وأصول ظهور اللّغات الإنسانيّة، بما فيها اللّغة العربيّة، ليجد أنّ هذا الموضوع قد أثار الكثير من الجدال أين وجدنا تباينا واختلافا فيما تذهب إليه كلّ نظريّة. هذا يعني أنّ كلّ نظريّة إلاّ وساقَ أنصارها حُججا. ومن أبرز هذه النّظريّات:

أ/ نظريّة المحاكاة:

يرى أنصار هذه النّظريّة أنّ الإنسانَ قد استقى أسماء الأشياء وصاغها من أصواتها. بمعنى أنّ ظهور الكلمات عليقٌ ومُرتبط بتقليد الأصوات المختلفة الّتي تُصدرها الطّبيعة بمَوْجُوداتها. سواءً أُصدرت من البشر أو الحيوان أو ظواهر الطّبيعة الأخرى. ويطلق علماء الغرب على هذه الظّاهرة ب " الأونوماتوبيا" أي المحاكاة الصّوتيّة. وأقدم ما وصلنا حول هذه النّظريّة، ما صدر عن "الخليل بن أحمد الفراهيديّ" وتلميذه "سيبويه". حيث نقل "ابن جنّي" في كتابه "الخصائص" ما يلي: "

وذهب بعضهم إلى أنّ أصلَ اللّغات كلّها إنّما هو من الأصوات المسموعات كدويّ الرّيح وحنين الرّعد وخرير الماء وشحيج الحمار

ونعيق الغراب وصيل الفرس ونزيب الظّبي ونحو ذلك، ثمّ وُلدت اللّغات عن ذلك فيما بعد وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبّل"
ولقد استند أنصار نظريّة المحاكاة على ما نجده في بعض الأحيان من اشتراك في بعض الأصوات في الكلمات الّتي تُحاكي إمّا صوت الإنسان في قوله تعالى في سورة الإسراء:" فلا تقل لهما أفّ" فكلمةُ "أُفّ" صوت يُصدره الإنسان عند التّضجّر والاستياء، وهي ملكة لغويّة مُشتركة بين جميع بني البشر.
كنقد لنظريّة المحاكاة: إنّ المتمعّن في ماهية هذه النّظريّة، يستنتج أنّ كلّ ألفاظ اللّغة تمّ استقاؤها من الطّبيعة، حيث إنّ هنالك ألفاظا ليس لنُطقها أيّ علاقة بمعناها. فكلمات مثل: الحبّ، الخير، الجمال، الشّرّ... إلخ، لا علاقة للفظها بمعناها. ومهما يكن من أمر، لا يمكن إهمال هذه النّظريّة إهمالا قطعيّا، لأنّ هناك نصيبا وافرا من الكلمات، تمتّ بصلة وثيقة إلى أصوات الطّبيعة.

ب/ نظريّة التّواضع والاصطلاح:

يرى دُعاةُ هذه النّظريّة أنّ اللّغة اتّفاق وتفاهم وتواطؤ بين البشر. ومنه فما من علاقة تربط الكلمات بمُسمّياتها (أي هناك علاقة اعتباطيّة برّرها الاتّفاق). وأوّل من نادى بهذه النّظريّة هو الفيلسوف اليونانيّ "ديموقريطس" إذ اعتبر منشأ اللّغة عمليّة تواطئيّة، لأنّ الاسم الواحد ذاتَه، كثيرا ما يقبل مُسمّيات كثيرة، ولأنّ الشّيء الواحد كثيرا ما يقبل عدّة مسمّيات. ومن هنا فإنّ الأسماءَ تُعطى للاشياء من لدن الإنسان، لا من لدن قوة إلهيّة. ولقد سبق لابن جنّي في كتابه "الخصائص" أن أشار إلى أنّ "أصل اللّغة لا بدّ له من المواضعة، وذلك كأن يجتمع حكيمان او ثلاثة فصاعدا، فيحتاجون غلى الإبانة عن الأشياء، فيضعوا لكلّ منها سمة أو لفظا يدلّ عليه ويُغني عن إحضاره أمام البصر، وطريقة ذلك أن يقبلوا مثلا عن شخص ويومئوا إليه قائلين: إنسان" فتصبح الكلمة اسما له، وإن أرادوا سِمةَ(أي تسمية) عينه أو يده أو رأسه أو قدمه أشاروا إلى العضو وقالوا: يد رأس قدم... وسيروم على هذه الوتيرة في أسماء بقيّة الاشياء. وفي الأفعال والحروف وفي المعاني الكلّية والامور المعنويّة نفسها. وبذلك تنشأ اللّغة العربيّة مثلا، ثمّ يخطر بعد ذلك الجماعة.
والخلاصة أنّ قسما كبيرا جدّا من مفردات اللّغة قد وُضع عبر الاصطلاح. فما تقوم به مجامع اللّغة العربيّة لا يعدو أن يكون اصطلاحا وتواضعا، ولكن ذلك لا يعني أنّ اللّغة لكّها قد وُضعت على هذا الأساس.

ج/ نظريّة التّوقيف/ الوحي والإلهام:

يرى دُعاةُ هذه النّظريّة أنّ اللّغة هبةٌ ربّانية، ولا دخل للإنسان في وضعها. وأوّل من نادى بهذا الطّرح، هو الفيلسوف الإغريقيّ" هيروقليطس" الّذي يرى أنّ الأسماء تدلّ على مسمّياتها بالطّبيعة، لا بالتّواطؤ والاصطلاح. وأنّ هذه الاسماء قد أُعطيت من لدن قوّة إلهيّة لتكون أسماء لمسمّياتها.

واستمرّت هذه النّظريّة في العصور الوسطى، ولاقت حظوة عند رجال الدّين المسيحيّ، فأصبحت تستمدّ شرعيّتها من الكتب السّماويّة، ولقد ورد ذلك في نجيل يوحنّا " في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله"

امتدّت هذه النّظريّة حتّى ظهور الإسلام، وازدادت قوّة بفضل آية قرآنيّة هي قوله تعالى في سورة البقرة الآية 31: "وعلّم آدمَ الأسماءَ كلَّها ثمّ عرضها على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين"

لكنّ هذه النّظريّة انحسرت مؤخّرا، ومع ذلك نادى بها الفرنسيّ "دي بونالد" الّذي يرى أنّ "اللّغة ليست تواطئيّة من خلق الإرادة البشريّة، فالنّاس لم يتّفقوا فيما بينهم على أن يكون ثمّة لغة فكان هناك لغة، فالإنسان لا يقدر على خلق شيء ما لم يكن لديه فكرة صريحة عنه. ولكي يحصل على هذه الفكرة الصّريحة ينبغي له أن يعبّر عنها، إذن اللّغة واجب وجود لمنشا اللّغة ذاتها، ممّا يفيد أنّ اللّغة ليست من عمل القوى البشريّة، إنّها من لدن الله"

أيّد الباحث "مسعود بودوخة" هذه النّظريّة في مؤلّفه الموسوم" فقه اللّغة دروس ونصوص" قائلا: " وهذا المعنى عند الله سبحانه وتعالى لا محالة، وهو عقيدة راسخة عندنا نحن المسلمين، فغذا كان ذلك محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به، وهذا رأي أبي الحسن الأخفش على أنّه لم يمنع قول من قال إنّها تواضع منه، على أنّه فسّر هذا بان قيل: " إنّ الله سبحانه وتعالى علّم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللّغات، العربيّة والفارسيّة والسّيريانيّة والعبريّة والرّوميّة وغير ذلك من سائر اللّغات"

كنقد للنّظريّة التّوقيفيّة:

لا يصحّ إذا كانت اللّغة من عند الله وجود التّضادّ مثلا في اللّغة العربيّة كالجون الّذي يعني الأبيض والأسود معا . لأنّ التّناقض يتنافى مع الحكمة الإلهيّة.

لمّا كان للشّيء الواحد أسماء متعدّدة وللاسم الواحد معان كثيرة.

لو أنّ آدم أُعطِيَ الأسماءَ كلّها لأُعطي كلماتٍ لم يُعرف معناها في ذاك العصر كالتّلفاز والحاسوب....

تركيب:

نستنتج في النّهايو أنّه لا توجد نظريّة واحدة يمكنها أن تفسّر نشوء اللّغة الإنسانيّة. بل إنّ النّظريّاتِ الثّلاث مجتمعة متكاملة، تخدم بعضها بعضا. فالله عزّ وجلّ أهّل البشر بان ألهمهم لكي ينطقوا، ثم استطاعوا أن يكوّنوا جملا عن طريق الملاحظة والتّقليد ثمّ أخذ يضع الكلمات بالتّواطؤ والاصطلاح، ولا يزال هذا مستمرّا إلى يومنا هذا إلى أن تفنى الحياة.

المحاضرة الثّالثة: اللّغة العربيّة واللّغات السّامية للّغة العربيّة

توطئة: اتّفقنا في مناسبة ماضية على فكرة جوهريّة مؤدّاها أنّ موضوع فقه اللّغة هو دراسة نشأة اللّغة وتكوّنها، والوقوف على الأبحاث الّتي عنيت بقضيّة ظهورها. وما يطرأ عليها من تغيّرات على مرّ الزّمن. وعلى هذا الأساس، قام المهتمّون بهذا الحقل المعرفيّ، ببحوث عديدة للتّوصّل إلى أبرز اللّهجات أو اللّغات الّتي تكوّنت بفضلها اللّغة العربيّة الفصيحة. والجدير بالتّنويه أنّ اللّغاتِ السّاميةَ هي مُنحدر اللّغة العربيّة. يعدّ المَستشرق "شولتسر" واحدا من الباحثين الّذين اهتمّوا بهذه القضيّة بالتّحديد. وهو أوّل من أطلق مصطلح " اللّغات السّامية" للُغة العبريين والعرب والأحباش. وكان ذلك عام 1781م. ولقد تفطّن " شولتسر" إلى أنّ اللّغة العربيّةَ فرع من فصيلة كبيرة يُطلق عليها " اللّغات السّامية". وذلك بتركيزه على أنّ أصلَ كلّ الشّعوب الّتي عمّرت الأرض بعد الطّوفان الّذي أصاب قومَ نوحٍ عليه السّلام إلى أولادة الثّلاثة: سام – حام – يافث.

1- معنى اللّغات السّامية: هي أحد فروع اللّغات الأفروأسياويّة. وهي فرع استقلّ تدريجيّا ليُشكّل ما يفترضه اللّغويّون من لغة سمَّوْها اللّغة السّامية الأمّ. ويتمركز متحدّثوها في الشّرق الأوسط، وشمال إفريقيا وشرقها. وتنقسم إل قسمين هما: غربيّة شماليّة وغربيّة جنوبيّة.

أمّا السّامية الشّرقيّة فهي الأكّامية بفرعيها البابليّة والآشوريّة. ولقد عُثر عليها مكتوبة بالخطّ المسماريّ. وأهمّها ما دُوّن به قانون "حامورابي" وهو أقدم القوانين الوضعيّة على وجه الأرض. وموطن هذه اللّغة هو بلاد النّهرَيْن(الدّجلة والفرات) في العراق. واللّغة الأكّامية اسم جامع أطلقه البابليّون على لغتهم جنوب العراق. ولغة اخوانهم في الشّمال " أكّاد".

أمّا القسم الغربيّ الجنوبيّ من اللّغات السّامية، فقد تفرّعت عنها العربيّة والحبشيّة. بالنّسبة للحبشيّة، فهي لغة ذاك الشّعب السّامي الّذي خرج من جنوبي الجزيرة العربيّة إلى غاية البلاد المقابلة لهم وهي الحبشة. أمّا بالنّسبة للعربيّة فتنقسم إلى العربيّة الجنوبيّة والشّماليّة. تعرف الأولى عند

اللّغويّين باللّغة "الحِمْيَريّة" وموطنها اليمن وجنوب الجزيرة العربيّة. أمّ الشّماليّة فهي لغة وسط الجزيرة العربيّة وشمالها، وتسمّى العربيّة الفُصحى. وقد كُتب لها الخلود كونها لغة القرآن الكريم. فانتشرت انتشارا واسعا. أمّا اللّهجات الأخرى، فلم تعرف ذيوعا كبيرا، كون اللّغويين اهتمّوا بالفصحى.

3- بعض اللّغات السّامية:

- العِبريّة: من اللّغات الأفروأسياويّة، انتشرت في إسرائيل والأراضي الفلسطينيّة.
- البَابليّة: (بوابة الإله) سميت كذلك نسبة إلى مكان نشأتها، وكانت لغتهم الرّسميّة إلى غاية 539 ق م، بسقوط "بابل"
- الآشوريّة: نشأت في شمال بلاد الرّافدين وامتدّت إلى "نَيْنَوَى" بالعراق 1831ق م
- الحِميَريّة: وهي لغة سامية ظهرت بالعراق واستُعملت في شبه الجزيرة العربيّة إلى غاية القرن السّابع.
- الآراميّة: انتشرت في سوريا وكانت لغة بعض دول العالم القديمن وعُدّت لغة مقدّسة
- السّريانيّة: وهي لغة مشتقّة من الآراميّة ظهرت في الألف الأوّل قبل الميلاد، وأصبحت في القرن السّادس قبل الميلاد لغة التّخاطب الوحيدة، وانتعشت مع ظهور المسيحيّة.

واللّغات السّامية كلّها لغات قديمة، أُستعملت في شبه الجزيرة العربيّة إلى غاية القرن السّابع. منها ما اختفى ومنها ما لا يزال باقيا كالعبريّة.

المحاضرة الرّابعة: جمع اللّغة العربيّة

1- جمع اللّغة

لقد كان جمع اللّغة الخطوةَ الأولى الّتي قام بها المهتمّون الأوائل بالدّراسات اللّغويّة، إدراكا منهم أنّ الرّصيد اللّغويّ حتميّةٌ لا بدّ منها للانطلاق في الدّراسة والتّحليل. فشرع كثير من المتطوّعين أمثال "نصر

بن عاصم" و"أبو عمرو بن العلاء" وغيرهما بجمع ألفاظ اللّغة العربيّة من أفواه النّاس. فاتّصل الكثير منهم بالبادية وقضى بعضهم سنواتٍ طوال مع أهل البادية، يستمع إليهم ويدوّن ما يقع على أذنه من ألفاظ، حتّى أحسّ هؤلاء أنّهم رصدوا ما يكفي من اللّغة للانطلاق في البناء الدّراسيّ العلميّ. ولم يكن جمع اللّغة عشوائيّا، إنّما كان وفقا لشروطٍ ومقاييسَ منها: ضرورة الاقتصار في جمع اللّغة على قبائلَ لم تختلط بالعَجَم. ولم تفسُد عربيّته. وكان الأمر متعلّقا في الواقع بستّ قبائلَ هي: قَيس- تَميم- هُذيل- أُسد- طيْء- كِنانة.

كانت هذه القبائل أهمّ مصدر للّغة العربيّة على اعتبار أنّها مناطق نائية لم يدخلها العجم، ومن ثمّة لم تفسد عربيّتها.

وبعد الانتهاء من عمليّة جمع اللّغة، بدأت العمليّة الثّانية، وهي عمليّة فَرْيِ اللّغة وفرزها. ليبدأ كلّ فريق من المهتمّين في النّظر في هذا الرّصيد اللّغويّ من جهة تخصّصه. فشرع النّحاةُ في تحليل التّراكيب، وعلماء الصّرف في قضيّة أصل اللّفظ وميزانه الصّرفيّ، وعلماء البلاغة في فرز الأساليب بناءً على نوع بلاغتها، وعلماء المعاجم في تصنيف اللّفظ وتركيبه ودلالته.

2- وضع النّحو:

لقد كان اللّحنُ(الخطأ) في قواعد اللّغة من أهمّ وأخطر علامات التّدهور الّتي تهدّد اللّغة العربيّةَ، ويتربّص بالقرآن الكريم، لاسيّما عندما تزايدَ عدد المقبلين على الإسلام، من أعاجم الأمم المجاورة. لهذا بادرَ رجل يُدعى "أبا الاسود الدّؤليّ" بوضع الحجر الأساس لقواعد اللّغة العربيّة، بإيعاز من الإمام عليّ كرّم الله وجهه. وكان ذلك بمثابة المعالم الكبرى لقوانين اللّغة، كتقسيم اللّفظ إلى اسم وفعل وحرف، وقد كان الدّافع الأوّل للقيام بهذه الخطوة هو لحن النّاس في كلامهم. زمن الرّوايات الشّهيرة في هذا المقام أنّ ابنةَ أبي الأسود الدّؤليّ قالت له: ما أجملُ السّماءْ. فقال لها: نجومها. فأوضحت له أنّها لم تسألْ، إنّما أرادت التّعجّبَ. فبيّن لها أنّ الأصحَّ أن تقولَ: ما أجملَ السّماءَ!

كما أوردتْ رواية أخرى عبارةً لفتى يتيم قال فيها: توفّى أبانا وخلّف بنونا. وكان الأجدرُ أن يقول: تُوُفّى أبونا وخلّف بنينَ

وقد كانت هذه الخطوات الجليلة الّتي قام بها الدّؤليّ نقطة الانطلاق الفعليّ لنشأة النّحو العربيّ الّذي أسهم فيه رجال كثيرون على رأسهم: الخليل بن أحمد الفراهيديّ(ت175ه) وسيبوَيه(ت180ه) صاحب

"الكتاب" الّذي يعدّ قرآن النّحو، كونه أوّلَ وأنْفَسَ ما أُلّفَ في النّحو العربيّ. وإلى جانبهم رفع رجال كثيرون رايةَ البحث في النّحو واللّغة وبخاصّة مَن كان لهم النّصّ القرآنيّ موضوعا للدّراسة. منهم: "الفرّاء" في كتابه " معاني القرآن" و"أبو عُبيدة" في كتابه "مجاز القرآن" و "ابن قُتيبة" في كتابه "تأويل مشكل القرآن"

3- تعريب الدّواوين(الدّساتير):

قام رجال الدّولة الإسلاميّة بخطوة أخرى مهمّة لخدمة اللّغة العربيّة، وهي تعريب الدّواوين الّتي كانت بلغات الأعاجم. فقد كان ديوان العراق باللّغة الفارسيّة، وكان ديوان الشّام بلغة الرّوم، كما كان ديوان مصر باللّغة القِبطيّة(نسبة إلى الأقباط وهم أصل الشّعب المصريّ). ولقد كان هذا العمل عاملا مهمّا لفرض اللذغة العربيّة وتعلّمها على الأعاجم. ومن الملوك والخلفاء الّذين لعبوا دورا بارزا في هذا الحقل "عبد الملك بن مروان". إذ كان الخلفاء والأمراء حريصين على أن يتعلّم أبناؤُهم اللّغةَ العربيّةَ، خاصّة وأنّ كثيرا منهم كانوا يلحنون في كلامهم وخُطبهم. وقد اشتهر أحدهم بعبارة: "شيّبني صعود المنابر". ومن أشهر الأمراء لحنا "الحجّاج بن يوسف" ومن الطّرق الّتي اعتمدها الخلفاء لتعلّم اللّغة العربيّة، اللّجوءُ إلى الزّواج من القبائل العربيّة الفصيحة، حيثُ تتقن اللّغة العربيّةَ الفصيحةَ، الّتي لم تُخالطها لُكنة العجم.

4- اهتمام الخلفاء والحكّام بالحركة العلميّة وتشجيعها:

فقد كانوا يشجّعون على تطوير الشّعر والحكمة والفصاحة اللّغويّة، بتخصيص هباتٍ لمَن يتفوّق في هذه المجالات. كما كان الخلفاءُ يُشجّعون ما يسمّى ب "النّقائض الشّعريّة" وهي معارك ادبيّة تدور رَحاها في الأسواق والأماكن العموميّة. ومن أشهر أبطالها: جرير والفرزدق والأخطل. وكان لذلك دورٌ كبير في تطوير اللّغة العربيّة، من خلال تحسين أساليبها وتأنيس ألفاظها لتصبح شائعة على ألسنة النّاس.

5- مراحل التّأليف عند العرب:

مرّت عمليّة التّأليف عند العرب بمرحلتين اثنتين، وهما مختلفتان ومتمايزتان هما:

أ/ مرحلة التّأليف المختلط: يُشير هذا العنوان إلى ميزة تخصّ التّأليف الأوّل الّذي عرفته الأمّة العربيّة. فقد كان تأليفا مختلطا، لأنّ المؤلّف الواحد يتضمّن مواضيعَ مختلفة، من نحو وصرف وبلاغة ونقد... إلخ

ولعلّ ما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أنّ ميزة الخلط بين مسائل اللّغة، لم تكن على درجة متساوية بين المصنّفات، بل تختلف من مصنَّف إلى آخرَ. فلو نظرنا في كتاب "سيبويه" مثلا، نجده أقلّ خلطا، بأن التزم فيه بهدفه العام (النّحو). وإذا نظرنا إلى معجم "العين" للخليل، نجد فيه من الالتزام والدّقّة، ما يجعله استثناءً من هذا التّأليف المختلط. فقد التزم فيه صاحبه بالهدف الرّئيس(تأليف معجم). كما كان عملا على جانب كبير من العلميّة، خاصّة ترتيب مادّته ترتيبا صوتيّا مع اتّباع نظام التّقلييات.

ب/ مرحلة التّأليف المستقلّة: وهي مرحلة النّزوع نحو العلميّة والمنهج الدّقيق في التّأليف. فلم يعُد المؤلِّفون يطرقون مواضيع شتى في كتاب واحد، بل أخذوا يلتزمون بالقضيّة الأساس، والّتي يؤلّفُ الكتاب من أجلها. ولهذا ظهرت كتب بأسماء الحيوانات مثل: كتاب الإبل، كتاب الحشرات_ كتاب الخيل...إلخ

ومن أمثلة المؤلَّفات الّتي اختصّت بموضوع واحد: كُتب الغريب في القرآن الكريم أو في الحديث النّبويّ. وقيل إنّ أوّل مَن ألّفَ في غريب القرآن هو الصّحابيّ الجليل: " عبد الله بن عبّاس (ت68ه) وأبو عُبيدةَ والأصمعيّ(ت213ه).

المحاضرة السّادسة: علاقة اللّفظ باللّفظ

أ/ الصّوت والمعنى:

1- مفهوم اللّفظ: لغة: هو التّرك نحو قولك: أكلتُ التّمر ولفظتُ النّوى أي طرحته ورميته.
اصطلاحا: هو صوت مصدره الفم، يشتمل مجموعة من الكلمات الّتي تجتمع مع بعضها لتؤدّيَ معنى معيّن، وقد لا تؤدّي معنى معيّنا. وهذا اللّفظ قد تكون حروفه مستقاة من أحرف الهجاء
2- مفهوم الصّوت: هو تلك النّغمة الّتي تدخل في تركيبة اللّغة المنطوقة.
3- الحرف: هو رسم يدلّ على ماهيته في لغة مكتوبة.
4- علاقة صوت الكلمة بمعناها: تجدر بنا الإشارة في هذا المضمار إلى أنّ الحروف تحمل معانيَ مختلفة، فمنها المجهور والمهموس، واللّسانيّ والانفجاريّ والأسنانيّ...وعلى هذا الاساس فإنّ لصفة الحرف دورا في تأدية معانيه. حيث هناك تناسب بين الحرف وصوته، وأنّ الصّوت معبّلر عن غرض معيّن. ومنه فإنّ للحرف قيمة تعبيريّة، ويستقلّ بها عمّا سواه من الاحرف الأخرى.
الحرف جزء من الكلمة، يقع على صوت معيّن لتأدية معنى مناسب في الكلمة.
أ/ ما وقع في أوّل الكلمة: فكلمتا صعد وسعد مختلفتان بأن لاحظنا قوّة الصّاد مقارنة بالسّين. ومنه فإنّ كلمة صعد تدلّ على الحركة والقوّة والاستعلاء، في حين نلتمس في حرف السّين نوعا من الخفّة والضّعف، من زاوية أنّ السّين هنا جُعلت لما لا يظهر ولا يُرى. كالسّعادة. غير أنّ الصّعودَ ففعل مرئيّ.
نسوق كلمتين أخريين تشتمل على حرفين أحدهما دالّ على القوّة والصّلابة وثانيهما على المرونة هما: خضم وقضم فالخضم يكون للأكل الرّطب واللّيّن. أمّا القضم، فللأشياء الصّلبة. نحو قولك: قضم الحصان الشّعيرَ. فالقاف أقوى من الخاء. لأنّ الخضم مثلا يكون للبطّيخ أو ما شابهه من المأكولات الرّطبة.
ب/ ما وقع في وسط الكلمة: فلنتأمّل كلمتي وسيلة ووصيلة
فالسّين أخفّ من الصّاد. فالتّوسّل دليل على الضّعف والهوان، في حين دلّت الوصيلة على الرّابطة المتينة والصّلة الوثيقة. ولا يحصل هذا إلاّ بشيء من القوّة.
ج/ ما وقع في آخر الكلمة: فلنأخذ على سبيل المثال كلمتي النّضح والنّضخ. فكلاهما يستعملان للماء. إلاّ أنّ النّضخ أقوى من النّضح. فقولك نضحتُ الماء على وجهي هو أنّك رُشته به، وهذا لا يستدعي كمّية كبيرة

من الماء، أمّا النّضخ فهو ما تفعله المضخّة، بضخّها الماءَ من عمق البئر، وهذا فيه غزارة وقوّة.
علّق ابن جنّي على ظاهرة اللّفظ بالمعنى في كتابه "الخصائص" قائلا: " فأمّا مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع" ونعني بهذه المقولة أنّ الاصوات قد تكون متجانسة مع المعنى الّذي تؤدّيه، كما يمكن ألاّ تكون هناك أيّ علاقة. غير أنّ قوّة الحروف والاصوات تورثُ الكلمةَ نوعا من القوّة في المعنى. فكلمة "خرير" مثلا لها نوع من الانسجام مع الصّوت الّذي تصدره المياه متدفّقةً.
يجدر بنا التّذكير في هذا المقام أنّ "ابن جنّي" قد عُدّ من أبرز العلماء العرب المهتمّين بالبحث في الأصوات ودورها في تحديد دلالات الكلمات، ولقد سنّ لنا أمثلة عديدة في هذا المقام حيث أقرّ أنّ:
_ تكرار الحرف في اللّفظ الواحد يدلّ على تكرار الحدث أو الفعل في الواقع، كما في الزّعزعة، وهو صوت الرّياح لمّا تكون شديدة فتهزّ وتقتلع.
_ القلقلة: وهي اضطراب الصّوت عند النّطق بالحرف.
_ القعقعة: صوت مصدره تحريك الأسلحة كالسّيوف.
_ القرقرة: صوت الأمعاء الخاوية.
حاول اللّغويّن أن يجعلوا لكلّ حرف معنى خاصّا به، كأن تدلّ الغين على الاستتار والخفاء مثل: غاب _ غار _ غاص _ غرق_ غرب ...إلخ والنّون تدلّ على الظّهور والبروز مثل: نفخ_ نبت _ نفث _ نزف_ نزع _ ....إلخ
أمّا القاف فدالّة على الاصطدام أو الانفصال مقترنا بصوت شديد تصوّره القاف في شدّتها كما في الشّواهد التّالية: قطع _ قرعَ_ شقّ_ طرق_ عقر ...إلخ
فكلمة "غرق" مثلا يدلّ الغين فيها على غيبة الجسم في الماء، والرّاء على التّكرار والاستمرار في سقوطه، والقاف تدلّ على اصطدام الجسم في قعر الماء.

ب/ النّبر في اللّغة العربيّة:

لقد حظي النّبرُ بعدّة تعريفَ من لدُن علماء اللّغة المُحدثين، غير أنّ هذه التّعريفات الّتي تبدو متباينة من حيثُ الصّياغة، تتّفق جميعها على أنّه الضّغط على مقطع معيّن بحيثُ يُكسبه ذلك سمةَ الوضوح السّمعيّ عن المقاطع الأخرى. ومن أشهر هذه التّعريفات:

_ عرّفه "ماريو باي" قائلا: " هو لإعطاء مزيد من الضّغط أو العلوّ لمقطع بين مقاطع متتالية".

_ أمّا "جان كانتينو" فقد عرّفه على أنّه " إشباع مقطع من المقاطع، وذلك بتقوية ارتفاعه الموسيقيّ، أو شدّته أو مداه، أو عدّة عناصر منها في آن واحد.

_ ومن جهته الدّكتور "تمّام حسّان" عرّفه كالتّالي: "هو وضوح نسبيّ للصّوت أو المقطع، مقارنة ببقيّة الأصوات والمقاطع في الكلام".

_ أمّا الدّكتور " كمال محمّد بشر" فقد عرّفه بأنّه "بذل طاقة معيّنة عند أداء الصّوت أو المقطع من طرف أعضاء النّطق"

إذا نحن رُحنا نبحث عن وجود هذه الظّاهرة اللّغويّة في اللّغة العربيّة، وجدنا أنّها محلّ اختلاف بين الباحثين، إذ يذهب "كارل بروكلمان" وهم من العارفين باللّغات السّامية، أنّ "النّبرَ موجود في اللّغة العربيّة، ويتوقّف على كمّية المقطع فإنّه يسير من مؤخّرة الكلمة نحو مقدّمتها، حتّى يقابل مقطعا طويلا فيقف عنده، فغذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل فإنّ النّبر يقع على المقطع الأوّل منها"

أمّا الألمانيّ "برجشتراسر" فقد ذهب إلى أنّ ظاهرة النّبر نادرة في اللّغة العربيّة الفصحى، عكس اللّهجات العربيّة الّتي تكثر فيها هذه الظّاهرة".

أمّا الدّكتور "إبراهيم أنيس" فيذهب إلى أنّه لا يوجد لدينا دليل مادّي يُهدينا إلى مواضيع النّبر في اللّغة العربيّة كما نطق بها الأقدمون في العصور الإسلاميّة الأولى، إضافة إلى أنّ المؤلّفين القُدماء لم يتناولوا في مؤلّفاتهم هذه الظّاهرة".

ومن جهته الدّكتور " أحمد مختار عمر" نجده قد سلّم بنفس هذه الفكرة، أين رأى بأنّ اللّغة العربيّة لا تستخدم النّبر كملمح تمييزيّ، وأنّنا لا نملك دليلا مادّيا يبيّن كيف كان الاقدمون ينبرون كلماتهم، على أساس أنّ قدماء اللّغويين العرب لم يهتمّوا بتسجيل هذه الظّاهرة".

والحقيقة أنّ هناك من العرب مَن عرف النّبر بمعنى "الهمز". إذ قال ابن منظور: " والنّبر همز الحرف".

أمّا "ابن جنّي" فقد سمّاه "الإشباع". ومهما يكن من أمر فإنّ قدامى اللّغويين العرب، لم يعرفوا النّبر بمعنى الضّغط على مقطع من مقاطع الكلمة، وهذا هو وجه الاختلاف بينهم وبين علماء اللّغة المحدثين. ولعلّ ذلك راجع إلى كون النّبر لا يقوم بوظيفة دلاليّة في العربيّة الفصحى، سواء أكان ذلك عن طريق الضّغط أم المطل أم الإشباع. وهذا يعدّ في نظر الدّكتور "إبراهيم أنيس" ميزة في اللّغة العربيّة. قال: " ولحسن الحظّ لا تختلف معاني الكلمات العربيّة، ولا استعمالها باختلاف موضع النّبر فيها" بمعنى أنّ النّبر سواء كان في الكلمة أو لم يكن، يبقى معنى الكلمة ثابتا. حسب رأيه. وإذا كان النّبر ليس ذا ملمح تمييزيّ في اللّغة العربيّة الفصحى، فإنّ العاميّة العربيّة يلعب فيها النّبر دورا دلاليّا هامّا. فيُستخدم للتّفريق بين المعاني الّتي يمكن للكلمة الواحدة أن تحملها، بحجّة أنّ طريقة النّبر قد تخرج بالكلمة إلى دلالات متنوّعة.

ج/ الأبنية والأوزان:

توطئة: إنّ من بين العلوم الّتي اهتمّ بها علماءُ اللّغة العربيّة، نجد علميْ النّحو والصّرف. فقد وضعوا لكلّ معالمه وأُسسَه، بل فرّقوا بين العلمين وأفردوا لكلٍّ مسائلَه الّتي تخصّه، فما هي أبنية علم الصّرف؟ وما مفهومه؟ وواضعوه ؟

1 **مفهوم الأبنية:** هي جمع مفرده بناء، أو بِنية أو بُنية نقيض الهدم. وبنى بُنيانا وبنية وبناية والبناءُ واحد البنية. ومن هنا يتجلّى معنى البناء والتّركيب والصّياغة. هذا هو معنى الأبنية في عمومها.

أمّا الأبنية في علم الصّرف، فهي صيغ كلمات الّتي تنشأ عن التّصريف الّذي أشار إليه "ابن عصفور" قائلا: " هو جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني" وهي حروف الكلمة وحركاتها وسكناتها مع اعتبار الحروف الزّائدة والأصليّة كلّ في موضعه.

2 ***اهتمام علماء اللّغة بالأبنية الصّرفيّة:***

قسّم علماء اللّغة الأبنية الصّرفيّة إلى أبنية أسماء وأبنية أفعال، وفرّقوا من خلال هذين القسمين من الأبنية بين الاحرف الأصول والأحرف الزّوائد في كلّ بنية صرفيّة. فصنّفوا أبنية الأسماء حسب أحرفها

الأصول إلى ثلاثيّة ورباعيّة وخماسيّة، وأبنية الأفعال إلى ثلاثيّة ورباعيّة. ونجد هذا التّصنيف عند ابن السّرّاج والخليل بن أحمد الفراهيدي، والمازني وعبد القاهر الجرجانيّ، وسيبويه...إلخ
أمّ الكوفيّون، فقد خالفوا البصريين فيما زاد عن ثلاثة أحرف أصول في الأسماء، معتبرين ما كان على أربعة أحرف ثلاثيّا مزيدا بحرف، وما كان على خمسة أحرف أصول ثلاثيّا مزيدا بحرفين. وقد استشهدوا على هذا الطّرح بقولهم: "إنّ كلّ اسم زادت حروفه على ثلاثة أحرف ففيه زيادة، فإن كان على أربعة أحرف نحو: جعفر ففيه زيادةُ حرف واحد "
أمّا فيما يخصّ أبنية المصادر فقد صنّفها العلماء حسب أبنية الأفعال، وتنقسم إلى مصادر الأفعال الثّلاثيّة المجرّدة، ومصادر الأفعال الثّلاثيّة المزيدة، ومصادر الأفعال الرّباعيّة المجرّدة والمزيدة3 أمّ ما كان فعله ثلاثيّا مجرّدا، فقولك: دخل دخولا، قرأ قراءةً. وأمّا ما كان فعله ثلاثيّا م زيدا فمثل قولك: أكرمَ إكراما، قبّل تقبيلا، استقبل استقبالا. وما كان فعله رباعيّا مزيدا فمثل قولك بعثر بعثرة، وما كان رباعيّا مزيدا مثل: تدحرج تدحرجا، واقشعرّ اقشعرارا.

3_ مفهوم الصّرف:

لغة: من صرَف يصْرفُ صرفا والصّرف ردّ الشّيء عن وجهه، وصرفه يصرفه صرفا فانصرف. يبدو لنا من خلال هذه التّعاريف أنّ الصّرف لا يخرج في معانيه عن التّحوّل وتمييز الشّيء من الشّيء كتحوّل الكلمات ومن ثمّة تميُّزها عن غيرها.
أمّ الصّرف اصطلاحا: فهو حسب ابن جنّي "علم تُعرف به أصول كلام العرب من الزّوائد الدّاخلة عليها". أمّا التّعريف المعاصر للصّرف فهو " علم يبحث في اللّفظ من حيثُ بناؤه ووزنه وما طرأ على هيكله من نقص أو زيادة" وإنّه لجدير بالذّكر أنّ الجرجانيّ قد سبق إلى تعريف الصّرف قائلا: " هو علم يُعرف به أحوال الكلم من حيثُ الإعلال".
زمهما يكن من أمر فإنّ الصّرف يدلّ في عمومه على ذلك التّغيير الطّارئ على الصّيغة الاصليّة من الكلمة، بتحوّلها إلى صيغ جديدة مختلفة تحمل معانيَ مختلفة، سواء بزيادة أو حذف أو إبدال أو إعلال أو إدغام.

4_ ***دلالة الأبنية ومعاني الصّيغ:***

لعلّ لصيغة الكلمة ووزنها دورا بارزا في تحديد معناها. ولولا هذه الصّيغ والأوزان لما اختلفت المعاني وتباينت. ذلك أنّ الصّيغ هي الّتي

تقيمُ الفرق بين (كتب وكاتب وكتاب ومكتوب). فهي الّتي تخصّص المعنى وتحدّده كتحديد معنى الفاعليّة والمفعوليّة والمصدريّة...إلخ

دلالات بعض الأوزان:

- فَاعَلَ: تدلّ على تعلّق الفعل بمتعدّد وكذلك على المنافسة مثل: قاتل زاحمَ نافسَ صارع....
- تفاعَلَ: وتدلّ على المشاركة مثل: تراحم، تصالح، تعاطف، توادّ...
- فُعال: وتدلّ على الأصوات مثل: دُعاء، ثُغاء، بُكاء....
- فُعالة: تدلّ على البقايا، أو على ما تمّ الحصول عليه بعد تأدية الفعل مثل: خُلاصة، عُصارة، قُمامة...
- مَفعلة: وتدلّ على المكان الّذي يكثرُ فيه شيء معيّن مثل: مَسمكة، مخبزة....
- فِعال: وتدلّ على الوسائل والمرافق مثل: بساط، فراش، وعاء، لباس....

تجدر بنا الإشارة في هذا السّياق انّ الأوزان والصّيغ كثيرة لا تعدّ ولا تحصى خاصّة السّماعيّة منها والّتي لا تخضع لقاعدة مطّردة.